

العلاقة بين النزوح والسلام

خالد کوسر

تشكل عملية الاستجابة لما يخاف الناس في مفاوضات السلام - سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. خطوة أولى فقط نحو ضمان عملية السلام تلبي احتياجاتهم ومطالبيهم. ومن الأهمية بمكان أن تسعى اتفاقيات السلام لتوضيح الالتزامات السياسية والقانونية والإنسانية للحكومات إزاء النازحين داخلياً وتوضيح أدوارهم ومسؤولياتهم فيما يتعلق بالحلول المستدامة. كذلك فإن قضايا النازحين ينبغي كذلك أن تلقى اهتماماً في طور بناء السلام، وحيث يكون من الأهمية بمكان توفير الأمن وحل المشاكل المتعلقة بالمتناлик وتشجيع التسوية وتولى عمليات إعادة الإعمار فيما بعد الصراع وضمان تحقق الانتقال السياسي إلى حكومة تنسجم بالفعالية والشرعية.

يرتبط حل مشكلة النزوح الداخلي ارتباطاً وثيقاً بتحقيق السلام الدائم. لكن شهدت بعض الدول حركة نزوح كبيرة بحيث أصبح من غير الواقعى التخطيط لمستقبل يتسم بالهدوء والسلام بدون إدراجه احتياجات النازحين وضمان مشاركتهم الفعالة. ولكن، ولسوء الحظ، غالباً ما يتم خاھل النازحين داخلياً في عمليات السلام التي ستؤثر تأثيراً مباشراً على حياتهم ومستقبلهم.

وكان النازحون داخلياً قد شكلوا تحالفات فعالة مع الجماعات الأخرى في مفاوضات المسار الثنائي/الثالث في العديد من البلدان:

ففي كولومبيا، يشعر الكثير من النازحين داخلياً أن عملية السلام ليست إلا وهماً مع استمرار أعمال العنف واستمرار اغتيال زعمائهم، كما أنهم لا يملون ثقفهم في آليات الدولة الرسمية. وكانت بعض تنظيمات النازحين داخلياً قد انضمت مؤخراً إلى تنظيمات غير النازحين من أجل تشكيل تحالفات لممارسة الضغوط من أجل الحقوق والعدالة والتعويض. ومؤخراً مبادرات جديدة تشهد لها الساحة حالياً لضمان حصول النساء النازحات على مقدار على طاولة المفاوضات.

وفي جورجيا، تقوم تجمعات النازحين داخلياً ذاتية التنظيم بالمشاركة في البحث عن الحلول المستدامة بعد أعيون من النزوح، وعلى الرغم مما تلقاه هذه التجمعات من عداء من السياسيين المتشددين، إلا أنها استطاعت إرساء دبلوماسية من المسار الثاني مع زعماء المجتمع المدني في المناطق الانفصالية في أبخازيا وأوسيتيا، كما يضططون من أجل الحصول على حقوق مدينة أكبر.

أما في سريلانكا فقد فشل المسار الأول، ولم تشمل أغلب مبادرات السلام الشعبية النازحين داخلياً بشكل رسمي، بينما تم استبعاد النساء والأطفال منها بشكل خاص. وفي المساران الثاني والثالث إمكانية ضمان تحقيق تمثيل أكبر للنازحين، داخلياً.

وفي جنوب السودان، أطلق المجتمع المدني مبادرات من الناس للناس من المسار الثالث، ونجح النازحون في إظهار قدرة المفاوضات على تحقيق النتائج ومهدوا الطريق لتحقيق النجاح في المسار الأول، والذي تمثل في اتفاقية السلام الشاملة لعام ٢٠٠٥ والتي أنهت الأسد الطويل، للصراع في شمال السودان.

خالد كoser (kkoser@brookings.edu) هو نائب مدير مشروع بروكينغز-بيرن للنزوح الداخلي، ويمكن الإطلاع على إصدار المشروع المعنون "تناول النزوح الداخلي في عمليات السلام واتفاقيات السلام وبناء السلام" على الرابط: www.brookings.edu/Reports/2007/09peaceprocesses.aspx

إن من شأن مساعدة تجمعات النازحين على العودة وإعادة الاندماج أن يعالج الأسباب الأساسية للصراع كما من شأنه أن يقي من وقوع أي أحداث نزوح مستقبلاً، كما قد يكون في عودة النازحين إلى بلدانهم مؤثراً مهمًا على تحقق السلام ومن ثم تسهم في إرساء النظام بعد انتهاء الصراع. وبواسع النازحين داخلياً حينها السعي للمشاركة النشطة في السياسات المحلية كما أن بوسعهم القيام بدور مهم في انتعاش الاقتصاد المحلي. وفي بعض البلدان نجد أن النازحين قد أصبحوا أطرافاً في الصراع، ومن ثم بات إشراكهم أمراً ضرورياً من أجل حل الصراع.

ويُنطِّقُ نفسُ الْأَمْرِ أَيْضًا عَلَى الْلَّاجِئِينَ، بِيَدِ أَنْ لَدِ الْنَّازِحِينَ دَاخِلِيًّا غَالِبًا احْتِيَاجَاتِ إِضَافِيَّةٍ وَتَنْتَطِلُبُ اهْتِمَامًا خَاصًّا أَثْنَاءِ عَمَلِيَّاتِ السَّلَامِ، ذَلِكَ أَنَّ النَّازِحِينَ دَاخِلِيًّا غَالِبًا مَا يَتَوَجَّدُونَ بِالْقُرْبِ مِنْ مَنْطَقَةِ الْصَّرَاعِ وَيَكُونُونَ أَكْثَرَ عَرْضَةً لِلتَّعْرُضِ لِلْعَنْفِ، كَمَا أَنْ تَوْفِيرُ الْمَسَاعِدَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِلنَّازِحِينَ دَاخِلِيًّا يَكُونُ غَالِبًا أَمْرًا غَایَةً فِي الصَّعُوبَةِ وَالْتَّعْقِيدِ. وَعَلَى خَلْفِ الْلَّاجِئِينَ، لَا يَنْتَضِمُ الْقَانُونُ الدُّولِيُّ نَصْوَاتِهِ تَعْلَمُ عَلَى تَوْفِيرِ الْحِمَايَةِ الْخَاصَّةِ لِلنَّازِحِينَ. وَعَلَوْا عَلَى ذَلِكَ، إِنَّ النَّازِحِينَ دَاخِلِيًّا يَكُونُونَ فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ مِنْ يَقْدِمُ لَهُمْ الْمَأْوَى كَمَا أَنَّهُمْ يَكُونُونَ عَاجِزِينَ عَنِ اسْتِبَالِ الْمَسْتَنِدَاتِ الرَّسِمِيَّةِ وَغَالِبًا مَا يَوْجَهُونَ مَشَكَّلَاتٍ فِي اسْتِرَادِ أَرَاضِيهِمْ وَمُمْتَلِكَاتِهِمْ.

وكما نوه المقال السابق الذي كتبه ديفيد لانز، تمهّل عقبات هائلة تحول دون ضمان مشاركة النازحين داخلياً في مفاوضات المسار الأول رفيعة المستوى. فهم ينفّذون غالباً للمعلومات والمهارات السياسية الكافية كما يفتقدون الرعامة الشعرين. كما قد تنشأ انتفاضات عندما يعمد النازحون داخلياً إلى تحقيق النظام في تكتلاتهم. ومن أجل تفادي هذه العقبات، جاءت مفاوضات السلام الخاصة بالمسار الثاني لتوفر الحل. ويعتمد المسار الأول غالباً على المسار الثاني في توفير الرؤى المتعمقة للملحقين إزاء الأزمة وإقامة منتدى من الحوار ذي طابع أقل رسمية لحل المشكلات. أما المسار الثالث - وتمثله المبادرات الشعبية - فتوفّر مجالاً أرحب لمشاركة النازحين داخلياً ييدّ أن آثارها على المفاوضات وطنية المستوى عادة ما تكون محدودة ولا يمكنها في حد ذاتها أن تضمن التمثيل الفعّال لخواوف النازحين داخلياً.

وفي الأحوال التي لا تكون فيها المشاركة المباشرة للنازحين داخلياً في مفاوضات السلام متيسرة أو مرغوبة أو فعالة، يكون البديل الذي يتم اللجوء إليه غالباً هو قيام الوسطاء الدوليين بمحض العزماء السياسيين على إدراج قضايا النزوح في مفاوضات السلام. وقد تم تطبيق هذا الحل في موزمبيق والبوسنة، وهو يتطلب وجود وسطاء يتفهمون المخاوف الخاصة للنازحين داخلياً وملكون متسعاً من الوقت للتشاور معهم. وكجزء من استراتيجية تكميلية لهذا النهج ينبغي التركيز على الحقوق القانونية للنازحين داخلياً بالاستعانت بالآليات الدولية والإقليمية والوطنية الخاصة. وتستطيع وكالات الأمم المتحدة وغيرها من الأطراف الدولية والوطنية توفير المعلومات حول قضايا النزوح إلى أطراف المسار الأول.